الحقول الدلالية
واشكالية المعنى

أحمد جواد
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

أولاً : التمهيد

كانت هناك فرضية معتمدة بشكل كلي في منهج الوصفيين في التحليل اللغوي ، تقوم على أنهم كانوا يتعاملون مع النص بوصفه كياناً تاماً بذاته ، وبالتالي فإنّ شكل النص « أي ترتيب عناصره » ممكن الوصف دونما حاجةٍ لاية إشارة الى معناه . وبذلك أستبعد المعنى استناداً الى مبدأ الفصل بين المستويات اللغوية ، إذْ إنّ مبدأ الفصل هذا ناتج عن جهودهم الكبيرة في جعل علم اللغة قريباً في شكلهِ من علم الرياضيات الذي يقضي بوجوب استبعاد أي شيء لا يمكن أن يحال الى نظام تدوين علمي رمزي صارم .. لقد كان المعنى أصعب تبويباً من الشكل ، وهو بهذا أكثر ميلًا وخضوعاً للتفسيرات . كما أن ارتباطاته بمستويات اللغة الاخرى لم تكن واضحة المعالم .[١]

أما عند التحويليين فالموقف من المعنى / الدلالة مرّ بأكثر من مرحلة . إذْ إننا نقرأ في المؤلفات الاولى لچومسكي موقفه الصريح الواضح من استبعاد المعنى والدلالة يقول « إن أفضل صياغة للنحو هي أن يكون دراسة قائمة بذاتها مستقلة عن علم الدلالة »[٢] . فهذا موقف صارم من المعنى والدلالة . إلا أن بحثه الموسوم بـ (البنية العميقة وغير العميقة والتفسير الدلالي . يعدّ واحداً من أهم الابحاث التي أشارت الى المدخل الحقيقي الى نظريته التي تشتمل على فرضية تقول ، بأن البنية غير العميقة وكذلك البنية اللغوية العميقة تساهمان بتوفير المعلومات ذات الصلة بالتفسير الدلالي[٣] . يقول جومسكي « وتفترض النظرية القياسية الموسعة أن البنى السطحية تسهم بطريقة محدودة في التاويل الدلالي »[٤] . ثم تاتي نظرية كاتز وفودور بوصفها أول نظرية تُقترح في علم الدلالة . يقول جون لاينز « لقد صيغت نظرية كاتز وفودور لمعنى الجملة ضمن إطار تحليل المكوّنات »[٥] .

ويبدو أن إشكالية المعنى في الدراسات اللغوية تبقى بين أخذ ورد لأسباب يعود بعضها الى طبيعة تلك الدراسات وفلسفتها

ويعود الآخر الى طبيعة المعنى نفسه ، إذْ إننا نجد في الجانب الآخر نموٌ اتجاهٍ معاكس تماماً فقد برزت مدرسة لغوية تولي المعنى دوراً حاسماً تمثل ذلك بالدور الوظيفي ، إذْ تبنتهُ مدرسة براغ ومؤسسوها ابتداءً من ماشيوس وانتهاءً بهالدي .

ان مباحث المعنى التي تناولها البنائيون والتحويليون والوظيفيون كانت تدور في فلك (معنى الجملة أو العبارة) .

أما معنى المفردة أو دراسة معنى المفردات فكانت له مدارس واتجاهات قطعت شوطاً كبيراً واتخذتْ نظريات متنوعة عُرفت بـ(علم دلالة المفردات) التي برزت في هذا العلم .

ثانياً : نظرية الحقول الدلالية :

١ ــ لم تتبلور فكرة الحقول الدلالية إلا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين على أيدي علماء سويسريين وألمان . وفكرة الحقل الدلالي تقوم على إعطاء مفردات اللغة شكلاً تركيبياً . فكلمات كل لغة ــ طبقاً لهذه الفكرة ــ تصنف في مجموعات ينتمي كل منها الى حقل دلالي معين ، وعناصر كل حقل يحدد كلٌ منها معنى الآخر ويستمد قيمته من مركزه داخل النظام[٦] . أو أن الحقل عبارة عن مجال تدور ضمنه مجموعة من الكلمات يصل بينها معنىً أساسي[٧] . وترى هذه النظرية أنه لكي تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً أو كما يقول ليونز « يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي » .[٨]

٢ ــ أهم المباديء التي تقوم عليها هذه النظرية :

آ ــ لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل .

ب ــ لا وحدة معجمية لا تنتمي الى حقل معين .

حـ ــ لا يصح إغفال السياق .

ء ــ لا تدرس المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي .

وقد وسّع بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل :

١ ــ الكلمات المترادفة والمتضادة

٢ ــ الاوزان الاشتقاقية / الحقول الدلالية الصرفية .

٣ ــ أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية .

٤ ــ الحقول الخطية Syntagmatic / مجموعة الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال التي لا تقع أبداً في الموقع النحوي نفسه (كلب ــ نباح) ، وبعضهم يقسم العلاقات داخل الحقل الى نوعين : الوقوع المشترك والتنافر .[٩]

٣ ــ أنواع الحقول : يقسم أولمان الحقول الى أنواع ثلاثة :

آ ــ الحقول المحسوسة المتصلة ويمثلها نظام الالوان .

ب ــ الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة ويمثلها نظام العلاقات الأسرية .

حـ ــ الحقول التجريدية ويمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية ، إذْ يعدّ هذا النوع أهم من الحقلين المحسوسين نظراً للاهمية الأساسية للغة في تشكيل التصورات التجريدية[١٠] .

ويبدو ان كل لغة تنتظم في حقول دلالية ، وكل حقل دلالي له جانبان : حقل تصوري / مفهومي . وحقل معجمي / تعبيري ، إذ إن مدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تعمل بها مع كلمات أخرى في الحقل المعجمي نفسه ، فإنّ كلمتين تكونان في الحقل الدلالي نفسه اذا أدى تحليلهما الى عناصر تصورية مشتركة . وبقدر ما يكثر عدد العناصر المشتركة بقدر ما يصغر الحقل الدلالي[١١] .

ــ العلاقات داخل الحقل ــ

لما كان علم الدلالة قائماً على الفكرة القائلة إننا نستطيع أن نحدّد معنى الكلمات بموجب ارتباطها بالكلمات الاخرى[١٢] . لذا كان من الضروري بيان أنواع العلاقات داخل كل حقل معجمي . وتنحصر هذه العلاقات بما ياتي :

١ ــ علاقة الترادف : تتحقق هذه العلاقة حين يوجد تضمّن من الجانبين كما في كلمة « أم » و « والدة » .

٢ ــ الاشتمال : وتُعد اهم العلاقات وهي تختلف عن الترادف في أنها تضمّن من طرف واحد مثل « فرس » الذي ينتمي الى فصيلة أعلى « حيوان » وعلى هذا فمعنى « فرس » يتضمّن معنى « حيوان » واللفظ المتضمن يسمى اللفظ الاعم أو الكلمة الرئيسة أو الكلمة الغطاء أو اللكسيم الرئيس أو الكلمة المضمنة أو المصنف[١٣] . ومن الاشتمال نوع يطلق عليه اسم الجزئيات المتداخلة وهي مجموعة من الالفاظ التي يكون كل لفظ منها متضمناً فيما بعده مثل : ثانية ، دقيقة ، ساعة .. الخ .[١٤]

٣ ــ علاقة الجزء بالكل ومثالها علاقة اليد بالجسم ، فاليد ليست نوعاً من الجسم ولكنها جزءٌ منه . وبذلك يمكن التمييز بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال ويدخل في هذه العلاقة جزء الجزء أيضاً مثل « أظفار ــ أصابع » و « أصابع ــ يد » فمن الممكن القول أصابع محمد بدون ذكر أظفار . ويمكن أن تحمل عليه الآية الكريمة « يجعلون أصابعهم في آذانهم » بدون ذكر الانامل . وكذلك القول : يدُ محمد ، بدون ذكر أظفار أيضاً .

٤ ــ التضاد : وأنواعه هي :

آ ــ التضاد الحاد أو التضاد غير المتدرج ومثاله : ميت / حي

متزوج / عَزَب ، ذكر / انثى . وهذا النوع لا يعترف بدرجات أقل أو أكثر . كما أن نفي أحد عضوي التقابل يعني الاعتراف بالآخر .

ب ــ التضاد المتدرج : وهذا النوع يمكن أن يقع بين نهايتين لمعيار متدرج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية ، وإنكار أحد عضوي التقابل لا يعني الاعتراف بالآخر[١٥] .

حـ ــ تضاد العكس : وهو علاقة بين أزواج من الكلمات مثل : ــ

باع / اشترى . زوج / زوجة

د ــ التضاد الاتجاهي ، ذكره ليونز ومثاله العلاقة بين كلمات مثل : أعلى / أسفل . يصلُ / يغادر

هـ ــ التضادات العمودية والتضادات التقابلية أو الامتدادية ذكرها ليونز أيضاً فالعمودية : شمال بالنسبة للشرق والغرب . والتقابلية مثل شمال بالنسبة للجنوب[١٦] .

٥ ــ التنافر : وهو عدم التضمن من طرفين وذلك مثل علاقة : خروف / فرس . قط / كلب . ويدخل تحت هذه العلاقة ما يسمى بعلاقة الرتبة العسكرية والمجموعات الدورية مثل الشهور والفصول وأيام الاسبوع[١٧] .

العلاقات الاستبدالية والتلاؤمية داخل الحقل الدلالي

في العلاقات الاستبدالية تدخل الوحدة اللغوية عبر المقارنة أو التعويض في ظرف خاص مع وحدات مشابهة أخرى . أما في العلاقات التلاؤمية فيتحدد إرتباط الوحدات اللغوية باقتران ورودها بورود وحدات مشابهة أخرى .

ففي : باب احمر : ، باب أخضر : } تترابط الكلمتان (أحمر ــ أخضر) . ترابطاً استبدالياً بعضها مع بعض

باب } أخضر / أحمر } تترابط الكلمتان ترابطاً تلاؤمياً .. مع « باب »[١٨] .

ويعود الفضل الى العالم اللغوي دي سوسير في التمييز بين هذين النوعين من العلاقات القائمة بين العناصر اللغوية[١٩] .

إن نظرية الحقول الدلالية تولي هذين النوعين من العلاقات أهمية واضحة ، فالعلاقة التلاؤمية القائمة بين (يعض / اسنان) (ينبح / كلب) (أشقر / شَعَر) ، وبشكل مختلف قليلًا قال فيرث « إنك ستعرف الكلمة عن طريق ما يصاحبها » . وقد أطلق على هذه المصاحبة لفظة (الاقتران) إذْ يرى أنها جزء من معنى الكلمة[٢٠] . والاقتران ليس مجرد ربط للافكار .

فعلى الرغم من أن الحليب أبيض فلا نقول عادةً (حليب أبيض)* . كما أننا نقول (كَتَبَ) : فعل ماضٍ . ولا نقول : فعل ذاهب . على أن هناك مجموعة كبيرة من التحديدات والقيود الاقترانية[٢١] .

ــ تطبيقات النظرية ــ

حظيت نظرية الحقول الدلالية باهتمام الانثروبولوجيين فضلًا عن اهتمام اللغويين ، والحقيقة ــ كما سيتبين لنا ــ أن مباحث المعنى والدلالة عند الغربيين لم تقتصر على جهود علماء اللغة حسب ، بل إن علماء من خارج اللغة كان لهم جهود كبرى في هذا المجال أثرت المباحث الدلالية وكشفت أمام الباحثين اللغويين عن معالم واسعة . وكان من تطبيقات هذه النظرية الشروع في عمل معجم كامل يضم الحقول الموجودة في اللغة كافة ولعل أحدث معجم يطبق هذه النظرية هو المعجم الذي يحمل عنوان Greek New Testament .

إذْ انه يقدم نموذجاً جيّداً لمعجمات المجالات التي تقوم على التصنيف المنطقي والأساس التسلسلي . وهذا المعجم قائم على أربعة مفاهيم رئيسة : الموجودات entities والاحداث events ، والمجردات abstracts ، والعلاقات relations ، وتحت كل قسم من هذه الاقسام نجد أقساماً أصغر ثم يقسم كل قسم على أقسام فرعية وهكذا .[٢٢]

ومن تطبيقات الحقول الدلالية ما نجدهُ في (الفعل) الواحد حين يستعمل في حقول دلالية متنوعة مثال ذلك :

١ ــ تحوّل القطار عن اتجاهه ــــــ وضع فضائي / مكاني

٢ ــ تحوّل الرجلُ الى لص ــــــ معاينة

٣ ــ صار العيش مملًا ــــــ معاينة

٤ ــ صار اليه كل المال ــــــ ملكية

في هذه الأمثلة نجد كل فعل مستعملًا في حقلين دلاليين ، فالفعل هو هو ولكنه يغير حقله الدلالي بالتعميم عبر الحقل . وهذه وسيلة للتوسع في المعنى إذْ يحتفظ الفعل ببنيته الدلالية ولا يغيّر الا الجزء الذي يتعلق بالحقل الدلالي المختار [الملكية ــ المعاينة ــ الحركة] . وفي الاتجاه نفسه يمكن أن يؤول تعدد المعنى ، فالكلمة الواحدة يمكن استعمالها في حقول دلالية مختلفة ، فهذه الاستعمالات ليست منفصلة ولا عارضة وإنما هي متصلة[٢٣] .

ومن تطبيقات هذه النظرية ما . عدّ بعضهم التحليل الى عناصر (النظرية التحليلية) امتداداً لنظرية الحقول ومحاولة لوضع النظرية التحليلية على طريق أكثر ثباتاً[٢٤] . ومن تطبيقاتها في الدراسات الأدبية دراسة قامت بها (أوديت بيتي) تحت عنوان « تحليل نصي للفصل الأول من كتاب الأيام / طه حسين » « حقل الهواجس »[٢٥] .

— الحقول الدلالية ومعجمات الموضوعات القديمة في العربية —

هناك شبه كبير بين معجمات الحقول الدلالية الحديثة وكتب الموضوعات التي ألفت في القرن الثالث الهجري ، فكلاهما يقسم الاشياء الى موضوعات ، وكلاهما يعالج الكلمات تحت كل موضوع ، وكلاهما قد سبق بنوع من التاليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ودراستها تحت عنوان واحد[٢٦] .

ان الجهود التي قام بها اللغويون القدماء في تصنيف الالفاظ بحسب موضوعاتها أو ما يسمى اليوم بالحقول الدلالية ، كانت تسير على وفق منهج لغوي هدفهُ تاكيد قضية الاعجاز القرآني في ضوء الاستعمال القرآني لهذه الالفاظ ، ولذلك نجد كثيراً من المباحث الدلالية تتخذ من الاستعمال القرآني مبدأ في تصنيف الالفاظ بحسب معانيها .

والامثلة كثيرة ، منها على سبيل المثال : ألفاظ المطر فهناك القطر / والغيث / والمزنة / والديمة / والوسمي ... وغيرها وهذه كلها تندرج بحسب نظرية الحقول الدلالية تحت حقل المطر . ولذلك نحن لا نتفق تماماً مع الدكتور أحمد مختار عمر في نعته لجهود اللغويين بكونها لا تتبع منهجاً معيناً وأنها غير منطقية في التطبيق أو أنها لا تهتم ببيان العلاقات بين الكلمات ، إذ يكفي أن نذكر كتاب المخصص لابن سيده (٤٥٨ هـ) الذي نعته الدكتور أحمد مختار عمر بانه أضخم ما وصل الينا من معاجم الموضوعات[٢٧] . إلا أن النقطة الجوهرية التي يفترق بها البحث اللغوي العربي عن البحث الاوربي في مجال مباحث المعنى والدلالة ، هذه النقطة تكمن في ان مباحث المعنى والدلالة عند العرب وُلدت في محراب الاعجاز القرآني ، أما عند الاوربيين فإنها وُلدتْ في احضان الانثروبولوجيا والسيكولوجيا ، ولذلك اختلف المنهجان بسبب نقطة البداية والهدف ، فالمتتبع لهذه المباحث عند الاوربيين يجد أن اكثر العلماء الذين بحثوا في هذا المجال هم من علماء الاجتماع والنفس ، بل علماء اللغة أنفسهم قد درسوا وتخصصوا في هذين العلمين أو في أحدهما في الاقل . وبسبب ذلك نجد مباحثهم قد اقتصرت في باديء الامر على الموضوعات الاجتماعية مثل ألفاظ القرابة والفاظ الطَّهْو والالوان وغيرها ، ونحن إذا ما أردنا مقارنة الجهدين العربي والاوربي فمن التعسف بمكان المقارنة بينهما دون حساب الفارق الزمني وما يتبعه من اختلاف في المناهج والاساليب ، وما دام العرب هم الأقدم في تناول هذه الموضوعات او المباحث التي تسمى اليوم بالحقول الدلالية ، فلهم يعود فضل السبق والريادة .

— الملاحظات —

١ — علاقة التضاد داخل الحقل المعجمي ولا سيما التضاد الحاد أو التضاد المتدرج مثل : حي / ميت . متزوج / عَزَب ذكر / انثى .. تبدو هذه العلاقة من خلال وصف علماء اللغة لها بانها غير دقيقة تماماً إذْ إنها تنفي صفة التدرج في هذه الالفاظ والحقيقة أن اللغة لا يمكن باية حال من الاحوال أن تفقد حلقة التدرج حتى في تلك الكلمات التي تبدو أنها ثنائية تضادية لا تدرج فيها ، ففي / حي / ميت ، هناك تدرج (بين بين) لا هو بميت ولا هو بحيّ . وقد استعملت ألفاظ للدلالة على هذا التدرج « بين بين » منها مثلًا « محتضر » وفي الاستعمال القرآني « اذا حضر أحدكم الموت » ، فحضور الموت هو تدرج (بين الحياة والموت) إلا انه الى الموت أقرب ولذلك تكون علاقة التدرج هكذا : حي / محتضر / ميت . وكذا الامر بالنسبة الى متزوج / عَزَب . إذْ إن هناك (بين بين) وهو (المعاشر) الذي لا يعد متزوجاً ولا عَزَباً . فهو الذي تكون له علاقة بامرأةٍ يختلف اليها لكنه لا يعد متزوجاً ولا يعدّ عَزَباً ، وعليه تكون علاقة التدرج ، عَزَب / معاشر / متزوج . وكذا الامرُ في الثنائية :

ذكر / أنثى . فهناك أيضاً (بين بين) وهو الخنثى الذي يميل في طبعه الى الانوثة ، وهناك المسترجلة التي تميل في طبعها الى الرجولة ، ولذلك تكون علاقة التدرج : ذكر / خنثى / مسترجلة / انثى .

وكذلك : جمل / مستنوق / ناقة

٢ — العلاقة بين الكلمة الاساس وكلمات الحقل الاخرى : يبدو أنها تكتسب معناها من حيث قربها من الكلمة « الأساس » ومن حيث بعدها عنها ، فكلما كانت اللفظة في الحقل قريبة من الكلمة الأساس كانت مساحة المعنى واسعة وكبيرة ، وكلما بعدت عنها كانت مساحة المعنى ضيقة وصغيرة .

ومثاله ألفاظ حقل الاكل :

فالحقل هو (الاكل) : الذي هو عملية ادخال شيء مادي الى جوف الانسان أو الحيوان لسد حاجة الجوع . وهذه الصفة تبدو واضحةً في الكلمة الاساس ثم تاخذ معاني أخر ، وأحياناً معنى خاصاً لنوع معين .

٣ ــ أفضل ما تكون دراسة مباحث الدلالة في الحقل عندما تكون الكلمات أو الالفاظ منتظمة في سياق معين .

أكل	خضم	بلغ	التقمَ	لطَع	لَحس	افترس	نَقرَ	لقط
عام مشترك لانسان والحيوان	قضم للزرع اليابس والاخضر (تخصص)	خاص بالحيوانات الضخمة	كان عاماً ثم خصص	غالباً عند الحيوان	عند الحيوان	عند الحيوان المفترس فيه وحشية	عند الطير فقط	عند الطير فقط

الهوامش

(١) فهم اللغة / نحو علم لغة لما بعد مرحلة چومسكي / ٤٦ .
(٢) نفسه / ٢٢ .
(٣) نفسه / ١٩٨ .
(٤) تاملات في اللغة / ٧٤ .
(٥) اللغة والمعنى والسياق / ١٧١ .
(٦) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ٨٢ .
(٧) عصر البنيوية / ٢٨٦ .
(٨) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ٨٠ .
(٩) نفسه .
(١٠) نفسه / ٨٢ .
(١١) اللسانيات واللغة العربية / ٢٠٢ .
(١٢) علم الدلالة / بالمر / ٧٧ .
(١٣) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ١٠٠ .
(١٤) علم الدلالة / بالمر / ٧٨ .
(١٥) الالسنية / ٢٢٩ .
(١٦) علم الدلالة / بالمر / ٨٨ .
(١٧) للمزيد ينظر علم الدلالة / بالمر / ٩٠ .
(•) بعض الشركات تنتج حليباً ملوناً منه الابيض والبرتقالي . إلا اذا قصد بالحليب (اللبن) فلا نقول : لبن أبيض .
(١٨) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ٨٧ .
(١٩) اللسانيات واللغة العربية / ٢١٠ .
(٢٠) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ١٢٠ .
(٢١) أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث / ١٢٥ .
(٢٢) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ١٢٠ .
(٢٣) علم الدلالة / ١٢٠ .

■ المصادر ■

١ ــ اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث / توفيق الزيدي / الدار العربية للكتاب / طرابلس / ليبيا / ١٩٨٤ .
٢ ــ الالسنية / المباديء والاعلام / ميشال زكريا / ط ٢ / ١٩٨٣ .
٣ ــ اللسانيات واللغة العربية / عبد القادر القاسمي الفهري / بغداد .
٤ ــ اللغة والمعنى والسياق / جون لاينز / ترجمة عباس صادق / بغداد / ١٩٨٧ .
٥ ــ تاملات في اللغة / تقديم جومسكي / ترجمة مرتضى جواد باقر / وعبد الجبار محمد علي بغداد / ط ١ / ١٩٩٠ .
٦ ــ عصر البنيوية / أوديت كيرزويل / ترجمة جابر عصفور / بغداد / ١٩٨٥ .
٧ ــ علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ط ١ / ١٩٨٢ .
٨ ــ علم الدلالة / پالمر / ترجمة مجيد الماشطة / ١٩٨٥ .
٩ ــ فهم اللغة / نحو علم لغة لما بعد مرحلة چومسكي / مورو وكريستين كاينغ ترجمة حامد الحجاج / مراجعة سلمان الواسطي / بغداد / ١٩٩٨ .